**مناهج وتقنييات البحث في الأنتروبولوجيا:**

يتمكن الأنثروبولوجي من تحقيق الوصف الدقيق لمظاهر الحياة البشرية والحضارية، من خلال معايشة الجماعات المدروسة وتسجيل سلوكياتهم وتعاملاتهم في الحياة اليومية. مما يتسنى له بلوغ واقع هذه الجماعات والتعرف على تطورها الحضاري استنادا إلى أصول التغير التي مر بها الإنسان داخل هذه الجماعات، و يتحقق ذلك في إطار الرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر واستخلاص العناصر المختلفة في التغيير المحدد .حينئذ يصل الباحث الأنثروبولوجي إلى استنتاج مؤشرات وتوقعات التغييرات المحتملة في الظواهر الإنسانية والحضارية، والتنبؤ بمستقبل الجماعات المدروسة .ومن خلال هذا الوصف الدقيق للكائنات البشرية، فقد تحقق ما يسمى بفلسفة علم الأنثروبولوجيا وأهدافها، بفضل التوسع في دراساتها. وبالرغم من ذلك، إلا أن الأنثروبولوجيا ال تزال محافظة على اهتماماتها التقليدية في وصف الثقافات وأسلوب حياة المجتمعات، وهو ما يميزها عن باقي العلوم الأخرى. [1]

وبالرجوع إلى التطور التاريخي للمنهج العلمي، فقد انبثق عن الفلسفة الأم على يد "فرنسيس بيكون" و"ديكارت"، حيث حاول ديكارت تقديم نموذج لخطة سير العملية، مركزا على أن النظام هو سر كل شيء، وهذا ما يجبرنا على تجميع الوقائع واختزانها وتفسيرها بتبصر وفقا لقوانين محددة. لذلك فهو مقتنع بأن العلم في صميمه، هو الكشف عن العلاقات التي يمكن التعبير عنها تعبيرا رياضيا. بمعنى أن المنهج هو نسقا من القواعد الواضحة والإجراءات التي يستند إليها الباحث في سبيل الوصول إلى نتائج علمية، فوظيفته لا تقتصر على تطبيق الإجراءات والقواعد المنهجية المستمدة من النظرية، وإنما هو تطبيق للنظرية وتسهيل الإتصال العلمي بين الباحثين. [2]

وهذا هو جوهر التنظير كعملية بنائية منهجية أساساها دقة السيرورة المنهجية المطب في دراسة الظواهر الإنسانية والإجتماعية.

- **طبيعة المنهج البحثي الأنثروبولوجي**

بتعدد الدراسات الأنثروبولوجية واختلاف فروعها، يلجأ علماء الأنثروبولوجيا إلى استخدام مناهج بحث متعددة وأساليب مختلفة لجمع المعطيات والمعلومات. فمنها ما يشترك فيها الأنثروبولوجي مع غيره من الباحثين في الدراسات الإنسانية مثل علم النفس، علم الإجتماع وعلم الإقتصاد. ومنها ما هو خاص تنفرد به الأنثروبولوجيا وخاصة الأثروبولوجيا البيولوجية، أين يستخدم فيها الباحث المنهج التجريبي والملاحظة العلمية الدقيقة. لذلك تمتاز الدراسات الأنثروبولوجية بالترابط والتكامل والنظرة الشاملة

---

[1]-فوزية زنقوفي، **مطبوعة بيداغوجية في مقياس مدخل إلى الأنتروبيولوجيا**. قسم علم الاجتماع، جتمعة 8 ماي 1945، قالمة، الجزائر، 2021-2022، ص68.

[2]- -فوزية زنقوفي، **مناهج البحث الإجتماعي ومدارسه**. دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان – الاردن، 2020م، ص.24ص 25.

للظواهر االإنسانية والإجتماعية، فالباحث يفسر الحقائق الأنثروبولوجية على أساس ترابطها وتشابكها ببعضها البعض .ومن أهم الإستخدامات المنهجية البحثية:

أ- **طريقة المنهج الإثنوغرافي**: من أشهر المناهج استخداما في الحصول على معلومات دقيقة حول الظاهرة المدروسة، فالباحث يجمع المعلومات والبيانات حول الظاهرة الإجتماعية من واقع الميدان ذاته، من أجل التحديد الدقيق لمجال البحث والكشف عن تفاصيل الظاهرة وخفاياها بكل موضوعية. هذه الموضوعية هي نتاج تلك الرحلات والملاحظة بالمشاركة للميدان أو للنظم الإجتماعية المراد دارستها، والتي مكنت الباحث الأنتروبولوجي من الفهم الدقيق للعلاقات والعادات والتقاليد والمعتقدات والشعائر، وهذا ما كان يطلق عليه آنذاك بطريقة البحث العقلي. وعليه، فإن الدراسة الإثنوغرافية تعتمد بدرجة كبيرة على الملاحظة العلمية التي تنقسم بدورها إلى:

**الملاحظة بالمشاركة**: هي طريقة علمية مباشرة للوصول إلى المعلومة الدقيقة، حيث تهتم بصفة خاصة

بدراسة المجتمعات البدائية من حيث عناصرها العرقية أو السلالية، أصولها الثقافية، دياناتها...، الخ. مما يتطلب من الباحث أن يكون قد تلقى تدريبا دقيقا حول أساليب التفكير العلمي الهادفة إلى اكتشاف الحقائق العلمية والقوانين الدقيقة التي تحكم العلاقات الإجتماعية. فضلا عن تحّليه بصفات الباحث العلمي التي تميز ميدان بحثه، مثل دقة الملاحظة، الصبر، عدم التسرع في استخلاص النتائج، الإبتعاد عن الذاتية في التخاطب مع المبحوثين، والذي يتطلب منه أن يكون متقنا للغتهم أو يستعين بوسيط من أعضاء مجتمع الدراسة ممن تتوفر لديهم الدقة والموضوعية والأمانة في توصيل المعلومة. لذلك فالباحث ملزما بتسجيل المعلو مات فور الحصول عليها، تجنبا للنسيان أو إضافة معلومات خاطئة. فعملية جمع المعلومات والبيانات والمعطيات، تتطلب من الباحث الإستعانة بمختلف الوسائل المساعدة في الجمع والتصنيف والجدولة. والأمر المهم أثناء هذه العمليات المنهجية، أن تتم بطريقة تلقائية، بحيث لا يشعر المبحوثين بأنهم مراقبين أو مقصودين، وهنا يعتمد الباحث الأنثروبو لوجي على جدول البحث الإستقصائي، والذي بدوره يحوي مواصفات تلزم على الباحث اتباعها والتقيد بها، مثال تجنب الصياغة اللغوية الغامضة مع أفضلية استخدام الألفاظ المتداولة.[3]

و تجدر الإشارة إلى أهمية استعانة الباحث بالأسئلة المعدة من قبل الإثنوغرافيين، والتـي تحوي نمـاذج لأسئلة تتناول كافة المعلومات المرشدة والموجهة للقيام بالدراسات الانثروبولوجية .وبعد عملية جمع المعلومات والبيانات، يقوم الباحث بعمليات التبويب والتصنيف إلى مجموعات متجانسة وتطبيق الاساليب

[3]- -تحسين عصمت عبد الكريم، **علم اجتماع المعاصر**، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان-الاردن، 2015م.، ص.164 165.

الإحصائية المساعدة في الحصول على الإستنتاجات المطلوبة، والتي تمكن الباحث من تصنيف بعض النظم الإجتماعية إلى أنماط محددة.

**الملاحظة غير المباشرة**: تعتمد هذه التقنية الإثننوغرافية عـ ـلى جمع المعلومات من مصادر أخـرى، مثـل مؤلفات الباحثين والدراسات السابقة والإعتماد على ملاحظات ومشاهدات الرحالة. لكن مثل هذه المصادر تلزم الباحث أن يقوم بالتدقيق فيها والإحاطة بها، لفهم ما تحتويه من معلومات واستبعاد المصادر المشكوك في مصداقيتها، خاصة عندما يتعلق بغير المتخصصين في موضوع الدراسة، لأن هذه المصادر متعددة ومتنوعة الأصناف والأشكال، فهي قد تكون مكتوبة أو مروية ومسموع عنها، أو تكون مستنبطة من الأساطير والفلكلور الشعبي، ومن العادات والمعتقدات وكل ما تحويه من آداب السلوك المجتمعي .**الملاحظة بالمشاركة**: تتطابق مع تقنية الملاحظة المباشرة، ويطلق عليها المختصون العديد من التسميات، مثل طريقة الملاحظة غير النظامية أو الطريقة الكلية أو طريقة التداخل الوظيفي. فجوهر هذه التقنية هو الدور الذي يقوم به الباحث وهو في ميدان الدراسة، بمعنى أن الباحث يسعى جاهدا للحصول على المعلومات الواقعية والصحيحة المتعلقة بالظاهرة المدروسة، بحيث يعمل بموضوعية على فهم طبيعة البناء الإجتماعي والثقافة االإجتماعية. ودوره هنا يتحدد في المعايشة الفعلية لأفراد المجتمع المبحوث وتصوراتهم، بما يساعده ذلك على الكتابة اليومية والمباشرة للتقارير المتضمنة كل ما يلاحظه من دقيق الأمور. [4]

.ب-**طريقة المقابلة**: منهجية جد مهمة في الدراسات الأنثروبولوجية، تتضمن أسئلة دقيقة حول الظاهرة المدروسة، وهي إما أن تكون موجهة أو غير موجهة. حيث تعتمد المقابلة الموجهة على عدد من الأسئلة في شكل استمارة تحوي أسئلة مصاغة بدقة وترتبط مفاهيمها بصورة مباشرة بالموضوع، ويفضل أن تدرج فيها الاسئلة الإحتمالية لتسهيل تفريغها في جداول، ثم يقوم الباحث بقراءة الأسئلة للمبحوث، ويترك له حرية الإجابة عنها .أما المقابلة غير الموجهة، فهي تعتمد على مقابلة بعض الأفراد البارزين والمشهورين، وممن يتمتعون بسمعة طيبة بين أفراد المجتمع المبحوث. لذلك فالباحث يلجأ إلى كسب ثقة هؤلاء الأفراد وتوطيد الجانب العلائقي معهم، بما يسمح بالحصول على حقائق ومعلومات دقيقة وصحيحة. إذ يتيح لهم فرصة الإجابات المطولة عن التساؤلات المطروحة، لكن دون تدخل منه، بحيث لا يعترض إجاباتهم ولا يعطي إيحاء بالإجابات، ويجعلهم أكثر استرسالا في الحديث. وهنا يستطيع الباحث تسجيل كل ما يحدث مع المبحوث، باستعمال مختلف الوسائل الحديثة المساعدة على التسجيل .وفي حالة الشعور بانزعاج المبحوث، فعلى الباحث فقط أخذ النقاط الأساسية والخطوط العريضة، وفي نفس الوقت تطبيق تقنية المقابلة. ويمكن للباحث استخدام طريقة أخرى تعتمد على السيرة التاريخية، والتي تحتوي على تدوين أهم الأحداث التي يمر بها أفراد مجتمع الد ارسة. حيث يطلب الباحث من المبحوث سرد تاريخ حياته مثال

---

[4]- -المرجع السابق، ص 169 ص170.

منذ أن كان طفال إلى تلك الساعة التي يتواجد فيها معه. وهذا يتطلب من الباحث تشكيل علاقة جيدة وثقة حسنة للتصريح بالمعلومات الصادقة .والطريقة التي يمكن أن يتأكد فيها الباحث من مصداقية هذه السيرة التاريخية، هو القيام بمقارنة المعلومات المجمعة للتأكد من صحتها والأخذ بالمعلومات المتداولة أكثر والمتفق عليها من قبل المبحوثين .وعموما فطريقة السيرة التاريخية هي مفيدة وذات أهمية بالغة لدى الأنثروبولوجيين المهتمين بدراسة الثقافة الشخصية أو بالتحديد المختصين في الأنثروبولوجيا السيكولوجي.

وتوجد طريقة رابعة، وهي **طريقة المقارنة الهادفة** إلى الحصول على دراسات ميدانية متعددة، وهي أقرب إلى الطريقة العقلية التحليلية للباحثين الأنثروبولوجيين. حيث يصل فيها الباحث إلى تعميمات دقيقة من خلال الإعتماد على عدد من الدراسات وليس من خلال دراسة واحدة، لأن كل دراسة تفتح مجالاتّ بحثية أوسع للمقارنة والتحليل بين النظم الاجتماعية والأ نساق الثقافية. فطريقة المقارنة تمكن الباحث من تحقيق الفهم الكلي للبناء الاجتماعي، والكشف عن الوظائف الإجتماعية للنظم الإجتماعية ومختلف التأثيرات المتبادلة بين هذه الوظائف والنظم .وكما سبق، فالإعتماد على دراسات متعددة ومتنوعة، جعل معظم الأنثروبولوجيين يقترحون تطبيق المنهج التجريبي المقارن. [5]

للتحقق من صحة ومصداقية النتائج تجريبيا، وذلك لمطابقتها بنتائج د راسات مشابهة، تمكن الباحث من استخلاص قوانين ومبادئ عامة.

[5]- -المرجع السابق، ص 172-173- 174.